

يوم الأرض

مقدمة

نجح الصهاينة بُعيد سقوط الدولة العثمانية باستصدار قرار من وزير الخارجية البريطاني "بلفور" بمنح الصهاينة فلسطين العربية الإسلامية لتصبح دولة لليهود من كل أرجاء العالم، وراحت الأمور تزداد سوءاً على الشعب الفلسطيني واستمرّ الحال على ما هو عليه حتى الإعلان الرسمي عن قيام دولة الكيان عام ١٩٤٨ م.

منذ ذلك التاريخ بدأ الكيان الصهيوني بفرض سياسته العنصرية على الفلسطينيين، أمّا ذروتها تمثّلت بما يسمى "قانون العودة"، والذي يوجّه دعوة إلى جميع اليهود في العالم للعودة إلى أرضهم التاريخية "فلسطين".

يوم الغضب

في العام ١٩٧٦ وبعد أن قامت السلطات الصهيونية بمصادرة آلاف الدونمات من أراضي الفلسطينيين ذات الملكية الخاصة أو المشاع، تحت غطاء مرسوم جديد صدر رسمياً في منتصف السبعينات، أطلق عليه اسم مشروع "تطوير الجليل"، والذي كان في جوهره الأساسي هو "تهويد الجليل" حيث كان قيام السلطات الصهيونية بمصادرة ٢١ ألف دونم من أراضي "عرابة وسخنين ودير حنا وعرب السواعد وغيرها" في منطقة الجليل في فلسطين التي احتلت عام ٤٨ (وهي القرى التي تدعى اليوم مثلث الأرض)، وتخصيصها للمستوطنات الصهيونية في سياق مخطط تهويد الجليل هو الشرارة الحقيقية ليوم الغضب الفلسطيني "يوم الأرض"، علماً بأن السلطات الصهيونية قد صادرت خلال الأعوام ما بين ١٩٤٨-١٩٧٢ أكثر من مليون دونم من أراض القرى العربية في الجليل والمثلث إضافة إلى ملايين الدونمات الأخرى التي استولت عليها عام ١٩٤٨.

ومما زاد من اندفاع الفلسطينيين لمواجهة هذه السياسة، صدور قرار في ١٣ فبراير/ شباط ١٩٧٦ يمنع العرب من دخول منطقة رقم (٩)، التي تبلغ مساحتها قرابة ٦٠ ألف دونم، وتقع ضمن نطاق قرى عربية وهي "سخنين، وعرابة، ودير حنا".

كما كان صدور وثيقة (كيننغ) في ١/٣/١٩٧٦ من قبل متصرف لواء الشمال في وزارة الداخلية في الحكومة الصهيونية (يسرائيل كيننغ) سمّيت فيما بعد باسمه، والتي تستهدف إفراغ الجليل من أهله الفلسطينيين، والاستيلاء على أراضيهم، وتهويدها، واحدة من مسببات الاتجاه نحو الإضراب.

وبناء على ما سبق قررت لجنة الدفاع عن الأراضي العربية بتاريخ ١٩٧٦/٢/١ م عقد اجتماع لها في الناصرة وقد تم إعلان الإضراب العام الشامل في ٣٠ آذار (مارس) احتجاجاً على سياسة مصادرة الأراضي العربية من قبل السلطات الصهيونية.

وكان الرد عسكرياً شديداً على هبة "يوم الأرض"، باعتبارها أول تحدٍ، ولأول مرة بعد احتلال الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨، حيث دخلت قوات كبيرة مدعومة بالدبابات، والمجنزرات إلى القرى الفلسطينية وأعدت احتلالها موقعة شهداء وجرحى بين صفوف المدنيين العزل، فكانت حصيلة الصدمات استشهاد ٦ أشخاص، ٤ منهم قتلوا برصاص الجيش، واثنان برصاص الشرطة.

والشهداء هم:

الشهيد خير ياسين	عرابة
الشهيد خضر خلايلة	سخنين
الشهيدة خديجة شواهنة	سخنين
الشهيد رجا أبو ربا	سخنين
الشهيد محسن طه	كفر كنا
الشهيد رأفت الزهيري	عين شمس واستشهد في الطيبة
إضافة إلى عشرات الجرحى والمصابين	

الأبعاد والدلالات

- قبل قيام دولة الكيان كان عرب فلسطين شعبًا مزارعًا إلى حد كبير، حيث أن ٧٥٪ كانوا يحصلون على عيشهم من الأرض، والتي بقيت مصدرًا هامًا لانتماء الفلسطينيين إليها، ما يفسر رغبة الدولة الصهيونية بانتزاع هذا الانتماء.
- اعتبر المراقبون أن إعلان "الإضراب الشامل" في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، هو بمثابة أول تحدٍ من قبل الأقلية الفلسطينية للسلطات الصهيونية منذ إعلان الكيان عام ١٩٤٨.
- إن يوم الأرض شكل محطة محورية، ونقطة انطلاق مركزية في النضال ضد سياسة التمييز العنصري والاقتل الذي انطلق بعد النكبة الفلسطينية.

النتائج على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي:

- صادر الاحتلال الإسرائيلي مساحات واسعة من الأراضي العربية منذ عام ١٩٤٨، والتي تقدر بـ ٢-٣ مليون دونم (هذه الأراضي استولى عليها الاحتلال بحجة أنها "أماكن حكومية الانتداب البريطاني")، وما يزال مستمرًا بهذه السياسة حتى وقتنا الراهن.
- أصدرت الحكومات الصهيونية المتعاقبة سلسلة قوانين بأسماء مختلفة تدعو كلها إلى سلب أراضي الفلسطينيين ومنحها للدولة الصهيونية، (قانون البور، أملاك الغائبين، المناطق المغلقة، قانون استملاك الأراضي)
- بواسطة آلية قضائية بيروقراطية معقدة، استولى الكيان الصهيوني على حوالي ٥٠% من مساحة الضفة الغربية، وكان هذا بالأساس لبناء المستوطنات وتحضير احتياط في حالة ضرورة توسيعها.
- الإعلان عن الأراضي كأراضي دولة وتسجيلها على هذا الأساس، هي الطريقة المركزية للاستيلاء على الأراضي من قبل الحكومات الصهيونية. هذا الإجراء بدأ اتباعه في عام ١٩٧٩ واستند على تطبيق قانون الأراضي العثماني من عام ١٨٥٨، الذي كان ساري المفعول عشية الاحتلال.
- الاستيلاء على الأراضي تم بمخالفة القوانين الأساسية لأي إجراء عادل. حيث في الكثير من الأحيان لم يعرف الفلسطينيون بأن أراضيهم قد تم تسجيلها على اسم الدولة الصهيونية، وعند معرفتهم بذلك يكون موعد تقديم الاعتراض متأخرًا.

- أصبح "يوم الأرض" يوماً وطنياً فلسطينياً بامتياز، حيث يحيي الشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين هذا اليوم.
- كانت هذه الأحداث أول انتفاضة للشعب الفلسطيني داخل ٤٨، لذلك وجدت تأييداً وزخماً كبيراً من قبل الفلسطينيين في كل مكان.

أين يوم الأرض في عالمنا الحالي؟!

يعتبر الثلاثون من شهر آذار عيداً وطنياً لدى كل فلسطيني على وجه هذه الأرض، فقد أصبح هذا اليوم بمثابة تجديد الانتماء والعشق الأبدي بين الفلسطيني أينما حلّ وارتحل، وبين أرضه الطيبة الطاهرة فلسطين والتي لا تزال بانتظار لَمّ شمل أبنائها المغتربين طوعاً أو قسراً عنها إليها. ولما كانت سياسة الدولة الصهيونية المعلنة ما تزال تؤكد على سلب الأراضي العربية وقضمها لصالح الأملاك الصهيونية، وكذلك سياسة التهجير والتشريد العنصرية القسرية على أبناء الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية، وقطاع غزة، وفي الجنوب الفلسطيني حيث النقب، وبناء عليه يجب أن نعلم:

- إن معركة الأرض لم تنته في ٣٠ آذار بل هي مستمرة حتى يومنا هذا، ونستطيع أن نقول إن كل الأيام الفلسطينية هي بمثابة يوم للأرض .
- إن يوم الأرض هو ذكرى ولدت من رحم معاناة مريرة مارسها الكيان الصهيوني الغاصب، تمهيداً لمخطط التهويد البعيد المدى الذي كان يخطط له آنذاك، واستمر إلى يومنا هذا بصيغ وطرق مختلفة.
- تعتبر الانتفاضتان الأولى والثانية، والآن انتفاضة القدس روحاً جديدة تُبثُّ في تلك الأرض، التي ما يزال الاحتلال الصهيوني يحاول قتلها يومياً، فهذه الروح هي تجديد العهد ليوم أرض جديد.
- يوم الأرض حيث توحد الفلسطينيون، فالكل مطالب بالدفاع عن كل فلسطين التاريخية، والجميع ملزمٌ بالمطالبة بفلسطين الواحدة.

أرض فلسطين بعيون عربية وإسلامية:

فلسطين العربية الإسلامية، هي نقطة التقاء الإخوة، والمتخاصمين، وما اجتمع الطفل العربي في بلد ما مع الكهل في بلد عربي آخر إلا على كلمة فلسطين، فهي نقطة الربط، ومحطة التوحيد، ورمز العروبة، وللعربي والمسلم مثل ما للفلسطيني من حقوق في فلسطين التاريخية، وكذلك عليه ما على الفلسطيني من واجبات تجاه فلسطين وبناء عليه يجب:

- كشف حقيقة الصهاينة وتاريخهم الحافل بالدماء والعنصرية تجاه غيرهم وخاصة المسلمين.
- تعريف شباب الأمة بتاريخ الصراع العربي الصهيوني وتجاذباته الداخلية والخارجية، وبالمحطات الحاسمة في الصراع.
- ربط الأجيال الناشئة بفلسطين عن طريق التعريف بمدنها وقراها ومآثرها الإسلامية وبالمسجد الأقصى.
- الاستمرار في تنظيم الأنشطة التضامنية من وقفات ومسيرات وملتقيات... لما لها من دور في يقظة الأمة واستعدادها الدائم للحظة الفاصلة في تدافع الحق والباطل.
- التأكيد على أن النضال المستميت والمقاومة الصادقة كفيلا بتحرير الأرض والإنسان.
- بالرغم مما عرفته القضية الفلسطينية على مر التاريخ من تجاذبات وتحالفات وإخفاقات وانتصارات جسدها الشعب الفلسطيني بمقاومته واستماتته في وجه العدو الغاصب وحلفائه، يدرك الجميع حجم التحديات التي تواجه القضية في المرحلة الراهنة تفرض على الأمة العربية والإسلامية المزيد من اليقظة والعمل المخلص والجاد من أجل تحرير فلسطين.
- الدفع بعيدا بمن يريدون التطبيع مع الاحتلال لمنحه صبغة الصديق أو الجار العزيز، واعتباره كيانا موجودا لا يمكن تجاهله، ولا فائدة من محاولة إزالته.

إحصائيات وأرقام حول سياسة الاحتلال الصهيوني الممنهجة في سلب أراضي الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨:

- قال الباحث الفلسطيني الدكتور سلمان أبو ستة إنه بين عامي ١٩٤٨ و ٢٠٠٣ تم مصادرة أكثر من ١٠,٠٠٠ كيلومتر مربع من أراضي الفلسطينيين.

- حسب مكتب الإحصاء الفلسطيني إن الكيان يستغل أكثر من ٨٥% من مساحة فلسطين التاريخية والبالغة حوالي ٢٧,٠٠٠ كيلومتر مربع، ليبقى للفلسطينيين نحو ١٥% من أرضهم فقط.

وطبقاً لمعطيات مركز الإحصاء:

- فقد بلغ عدد المواقع الاستيطانية والقواعد العسكرية ، حتى نهاية العام ٢٠١٤ ، في الضفة الغربية ٤١٣ موقعاً، منها ١٥٠ مستوطنة، و ١١٩ بؤرة استيطانية.:
- سلطات الاحتلال الإسرائيلي صادقت، في العام ٢٠١٥ ، على بناء أكثر من ٤,٥٠٠ وحدة سكنية في محافظات الضفة الغربية، إضافة إلى المصادقة على بناء أكثر من ١٢,٦٠٠ وحدة سكنية في المستوطنات بالقدس الشرقية في ذات العام.
- أما فيما يتعلق بعدد المستوطنين في الضفة الغربية فقد بلغ ٥٩٩,٩٠١ مستوطناً نهاية العام ٢٠١٤ ، ويتضح من البيانات أن حوالي ٤٨% من المستوطنين يسكنون في محافظة القدس حيث بلغ عددهم حوالي ٢٨٦,٩٩٧ مستوطناً، منهم ٢١٠,٤٢٠ في القدس الشرقية."
- وتشكل نسبة المستوطنين إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية حوالي ٢١ مستوطناً مقابل كل ١٠٠ فلسطيني، في حين بلغت أعلاها في محافظة القدس حوالي ٦٩ مستوطناً مقابل كل ١٠٠ فلسطيني، بحسب أرقام مركز الإحصاء الفلسطيني.

من جهتها، قالت دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية، في تقرير لها:

- بعد قيام دولة الكيان تم إصدار قانوناً بمصادرة أراضي المواطنين الفلسطينيين في ٤٨، ونتج عن ذلك مصادرتها لحوالي أربعة ملايين دونم من الأرض التي تعود ملكيتها لمواطنين فلسطينيين."
- "بعد العام ١٩٤٨ طردت القوات الصهيونية أو تسببت برحيل حوالي ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني يُشكّلون حوالي ٧٥% من السكّان الفلسطينيين. ولم تسمح لهم بالعودة أبداً.

بعض المواقف الدولية تجاه قضية مصادرة الأراضي العربية لصالح الاستيطان الصهيوني:

- 1- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٨٥١ لسنة ١٩٧٧: أدان قرار الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة.

2- قرار مجلس الأمن رقم ٤٤٦ لسنة ١٩٧٩: أكد على أن الاستيطان ونقل "اليهود" للأراضي الفلسطينية غير شرعي.

3- قرار مجلس الأمن رقم ٤٥٢ لسنة ١٩٧٩: يقضى القرار بوقف الاستيطان حتى في القدس وبعدم الاعتراف بضمها.

4- قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠: دعا القرار إلى تفكيك المستوطنات

٥- في أواخر حزيران / يونيو ٢٠١٣، ورّعت المفوضية الأوروبية تعليمات إلى جميع دول الاتحاد الأوروبي تقضي بحظر تمويل المستوطنات الصهيونية المقامة في المناطق الفلسطينية والسورية المحتلة في عام ١٩٦٧ أو الاستثمار فيها، أو تقديم منح لها وجوائز.

٦- جمد الاتحاد الأوروبي الاتفاقيات مع الكيان الصهيوني في أراضي ١٩٦٧ ودعا لوقف الاستيطان، واعتبر الاتحاد الأوروبي، كافة الاتفاقات المبرمة معه غير نافذة في أراضي عام ١٩٦٧ الخاضعة للاحتلال. جاء ذلك في البيان النهائي الصادر عن اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، في العاصمة البلجيكية بروكسل، يوم ١٨ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٦ لافتاً إلى أنه "واضح وقطعي" بالنسبة للاتفاقات معه، ولا يعد بمثابة مقاطعة لدولة الكيان. ووجه وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي، انتقادات للسياسة الاستيطانية المتبعة في الأراضي التي احتلتها بعد عام ١٩٦٧

٧- أصدرت وزيرة الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي، فيديريكا موغيريني، يوم ٨ فبراير ٢٠١٧، بياناً شديد اللهجة، ضد قانون التسوية، الذي صادق عليه الكنيست الصهيوني لكونه يتجاوز حداً جديداً وخطيراً بحيث يتيح الاستيلاء على أراض فلسطينية خاصة في الضفة الغربية المحتلة.

الخاتمة

ليس لفلسطين وحدها، ولا للشعب الفلسطيني بمفرده "يوم الأرض" فقد أضحي عيداً ومدعاة للاحتفال في كل بلد محتل، وفي أبجديات كل الشعوب الحرة.

فمن أجل الأرض تنفض الشعوب، وترتفع الهمم، وترتقي الأهداف، فالأرض هي الحرية، والكرامة، والإنسانية.

